



الأنشودة الإصلاحية في وادي ميزاب (1920 - 1970)،

الشكل والمحتوى

Reformist singing at Oued Mzeb (1920-1970), form and content

عبد القادر قويح

1- جامعة الجلفة، goubaaa61@gmail.com

تاريخ القبول: 2020-07-12

تاريخ الاستلام: 2020-02-16

ملخص -

تتناول هذه الدراسة موضوع الأنشودة الإصلاحية في منطقة وادي ميزاب خلال الفترة الممتدة بين 1920 - 1970، حيث تمثل الأنشودة وسيلة من الوسائل الأكثر فعالية لنشر الأفكار وحفظها، كما أنها تؤرخ لكثير من المواضيع والأحداث والمناسبات ذات العلاقة.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على دفتر مرقون يجمع كثيرا من هذه الأناشيد إضافة إلى روايات شفوية للعناصر التي كانت منتمية للفرق الإنشادية أو معاصرة لها، إضافة إلى مخطوطات أخرى تعود لفترة الدراسة. فالدراسة هي محاولة تعريفية وإحصائية للأناشيد المتداولة في هذه المنطقة التي عرفت نشاطا إصلاحيا وعلميا ملموسا.

الكلمات الدالة-

الأنشودة الإصلاحية، ميزاب، الجزائر، الحركة الإصلاحية

Abstract-

This Study Deals With The Study Of The Reformer-Cant In The Region Of « Oued Mzab » During The Period From 1920 To 1970. To This End, Singing Is One Of The Most Effective Tools For Diffusing And Saving Ideas. Topics, Events And Opportunities In This Area.

We Based In This Study On A Typed Notebook That Contains Many Of These Songs In Addition To The Oral Tales Of The Elements That Were Belonging Or Simultaneous To The Singing Groups, As Well As To Other Manuscripts That Return To The Study Phase.

This Study Is Therefore An Attempt To Representing And Recording The Songs That Take Place In This Region Which Has Had A Real Reforming And Scientific Activity.

Key Words-

Reformist Singing , Oued Mizeb, Algiers, Reformist Movement

1- مقدمة:

تعود دوافع إعداد هذه الدراسة إلى إحدى الزيارات التي قادتني إلى منطقة وادي ميزاب وبالضبط إلى معهد الحياة في مدينة القارة، وذلك في ربيع 2006، ومن حسن الحظ أنني التقيت بالأستاذ محمد أوجانة ملالي الذي كان وقتها يشغل مدير معهد الحياة، وفي معرض نقاشنا حول الحركة الإصلاحية في منطقة ميزاب والنهضة العلمية والفكرية...تطرقنا إلى مواضيع لصيقة بالحركة الإصلاحية كالتأليف والمسرح والأناشيد...وقد استفدت من اطلاعه الجيد على الأنشودة في المنطقة إضافة إلى تجربته الشخصية باعتباره عضوا في فرقة الإنشاد التابعة لمعهد الحياة خلال خمسينات القرن العشرين الميلادي، وكذلك لعلاقته الحميمية بأشهر المنشدين وكتاب هذه الأناشيد في المنطقة سواء من هم على قيد الحياة مثل الشيخ صالح باجو أو الذين قضوا إلى ربهم. وإذا كان موضوع المحفوظات غالبا ما يواجه مشكلة خطيرة تنسفه من أساسه وهي مدى استذكار هذه الأناشيد والقصائد وحفظها، فإن حالة الأنشودة في وادي ميزاب سلمت إلى حد بعيد من هذه المشكلة بفعل عاملين اثنين:

- الحفظ الجيد الذي يمتاز به أعضاء الفرق الإنشادية.
- المبادرة الهامة التي قام بها بعض المهتمين بالأنشودة، والتي تمثلت في تدوين مختلف أناشيد التي صدحت بها حناجر أبناء ميزاب، وخرج ذلك في شكل دفتر مرقون عرف بدفتر أناشيد الإصلاح.
وحسب ما ذكر لي الأستاذ ملالي فإن أغلب الأناشيد الواردة في هذا الدفتر تعود إلى ما قبل فترة الستينيات، وقد حافظت على صورتها الأولى ومن هنا تبرز أهمية هذا الدفتر.

2- الوصف المادي للدفتر:

"دفتر أناشيد الإصلاح" هو دفتر مكتوب بالآلة الراقنة، عدد صفحاته 98 صفحة بدءا من الصفحة 1 إلى غاية الصفحة 98 دون مقدمة ولا خاتمة ولا فهرس، ما عدا بعض العناوين المخطوطة بخط اليد في بعض الصفحات كتدليل على موضوع الفصل وعنوانه حسب محتوى الأناشيد الواردة فيه مثل: العلم و المدارس. الحماسة والوطنية. الأناشيد الدينية والمولودية. الفن والطبيعة. الاستقبال، الوداع، الختام.

كما وردت فيه بعض التصحيحات بخط اليد لكلمات غير واضحة. ورغبة في معرفة أكبر لأهمية هذا الدفتر والظروف التي انتشرت فيها هذه الأناشيد اعتمدنا على مصادر أخرى كالشهادات الحية لبعض أعضاء الفرق الإنشادية وكتابها ومعاصريها وحتى من أنصار حركة الإصلاح الميزابي التي تزعمها الشيخ إبراهيم بيوض (1899- 1980).¹

3- أهمية الأناشودة:

تمثل الأناشودة على اختلاف أغراضها وعاء إيديولوجيا يتيح نقل عقائد وأفكار وتصورات وسلوكات تخدم جهة ما، وغالبا ما تستهدف الأناشودة الفئة الناشئة أكثر من غيرها، وبفضل إيقاعها الموسيقي الخفيف والمؤثر يسهل حفظها وتكرارها ترنما دون ملل، وهو ما نجده كذلك في المنظومات والأرجاز الشعرية. كتب الهادي السنوسي الزاهري في كتابه "شعراء الجزائر" مبرزا دور الأناشيد في الوطنية والدين: "... وللأناشيد في الأمم شأن يذكر، فهي الوتر الذي

¹ - عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و

1954، دار طليطلة، الجزائر، 2013، ص 66

تهيج به وطنية الوطني، وهي المزمارة الذي تخشع له النفوس وترقص له الأبواب، وهي التي تحمل الجندي على اقتحام الموت الأحمر في يوم الهول الكبر تفتانيا في الدفاع عن الشرف والحوزة..."²

وأخذت الأناشيد تنتعش في الجزائر بدءاً من ثلاثينات القرن العشرين كرد فعل على انتشار الأناشيد الفرنسية في المدارس والمسارح، وتأثراً بالحركة الأدبية والثقافية التي أخذت في الازدهار في تونس ومصر والتي كان من مظاهرها وصول الأناشيد إلى الجزائر عبر الصحف والكتب. وارتكزت الأناشيد في النوادي والمدارس الحرة والصحف الإصلاحية والوطنية والفرق الكشفية، ومثل عمل الأستاذ محمد بن العابد الجلاي أهم تأليف في الأناشيد التربوية الإصلاحية خاصة أن تأليفه وطبعه جاء رد فعل على انتشار الأناشيد المدرسية الفرنسية لدى الناشئة الجزائرية، فتروي زهور ونيسي -إحدى تلميذات المدارس الحرة- بأن سبب تأليف الجلاي لكتابه " الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية" كانت بدايته بأناشيد ألفها لتلميذاته بعدما صادفهن في ساحة المدرسة يرددن أناشيداً فرنسية.³

وإلى جانب الجلاي اشتهرت أقلام عدة بكتابة الأناشيد مثل الشاعر محمد العيد آل خليفة والشيخ محمد الصالح رمضان و الشاعر أبو بكر مصطفى بن رحمون و الشاعر عبد الحفيظ جلاب.⁴

4- الأناشيد في ميزاب:

يمكن القول بأن العصر الذهبي للأناشيد في ميزاب قد بدأ مع أربعينيات القرن العشرين حيث استطاعت أن تمثل وسيلة من وسائل الإصلاح خاصة بعد معارضة المحافظين لها مما فتح نقاشاً حول مشروعيتها وفائدتها، وهو ما حفز

² - محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، 1926، ص 105

³ - زهور ونيسي، شهادة تلميذة من مدرسة حرة، الشهاب الجديد، مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، قسنطينة، الجزائر، أفريل 2004، ع 3
2004

⁴ - محمد الصالح رمضان، إسهاماتي في الكشافة الإسلامية، المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية، الجزائر، 2003

- قوبع، مرجع سابق، ص 283

الإصلاحيين لبذل الجهد لتقويتها من حيث الشكل والمضمون (المبنى والمعنى) و العناية الدقيقة بما يختارونه من أناشيد جزائرية أخرى ومشرقية. ومن الملاحظ كذلك أن عدد الأناشيد قد تضاعف حتى تجاوز المئتي أنشودة، وذلك بفعل روح المنافسة بين الفرق الإنشادية وتغلغل هذه الفرق في الحياة الاجتماعية ومناسباتها المختلفة: حفلات دراسية، إحياء ليالي رمضان، الأعراس، الترحيب بالضيوف والوفود ومواكب الحجيج، المسامرات... فصي إحدى مناسبات المولد النبوي الشريف ألفت خمسون أنشودة احتفالاً بها. غير أن المشهور والمتداول في المنطقة كلل لا يتجاوز الخمسين أنشودة.⁵

5- تأليف وتلحين الأناشيد:

من الملاحظ أن مستوى الأناشيد الأدبي لا يرقى إلى مستوى القصيدة وكذلك عدد أبياتها، وكل الاهتمام يتجه إلى الإيقاع والقافية وعلاقتها بالموسيقى. ولذلك اختلف مستوى الأناشيد لغة ولحنا، واشترك في كتابتها التلاميذ في معهد الحياة والأساتذة والشعراء المعروفون.

فمن الأسماء التي أكثرت في التأليف نذكر: صالح باجو، صالح خباشة، إبراهيم القرادي، علي يحي معمر، محمد بن عمر الداودي، يوسف تريح، بربوشة. وبدرجة أقل: بنوح طباخ، عبد الله عفيفي، يحي حواش، كعباش، حمو فخار، صالح الخريفي⁷، أبو اليقظان (1888- 1973)⁸، مرموري، رشوم بكير، صالح اسماوي، لعساكر...

أما بالنسبة للتلحين فغالبا ما كان تقليدا للساند من الأناشيد أو النسخ على منوال الأناشيد الشعبية التراثية، كما شاع لدى الشباب الإصلاحية تقليد إيقاع أناشيد أو أغان مشهورة لدى العامة، وذلك بهدف جلب اهتمام العامة، ومن أشهرها أنشودة "بساط الريح" التي مطلعها:

بساط الريح عليك أسيح

⁵ - محمد أوجانة ملالي، 22 أفريل 2006

⁶ - صالح باجو، 22 أفريل 2006

⁷ - صالح الخريفي، من أعماق الصحراء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991، ص ص 175، 179

⁸ - قوبع، مرجع سابق، ص 76

بالتفتيان
أعل بنا أضنانا الشوق
غارداية
والبندان
بساط الريح
وانزل بنا رحبا يروق
ويعطفنا
ويريان

وهي من تأليف المدعو: محمد الشريف.⁹

وأنشودة "بالنهضة" التي كتبها إبراهيم القرادي ومطلعها:

نبتني المجد ونحظى
ندفع العادي لا نرضى
ننفي كيد المعتدين
ظلم الأعادي

بالنهضة نسمو كل حين¹⁰

وأنشودة "أوطاننا وهي الغوالي" التي ألفها إبراهيم القرادي أيضا والتي وضع لحنها على شاكلة لحن النشيد الوطني الفرنسي (لامارسيان)، رغم أنها معارضة له في محتواها، وكان التلاميذ المؤيدون للحركة الإصلاحية الوطنية في ميزاب يستقبلون به القائد العسكري الفرنسي لغرداية في مختلف التظاهرات الجماهيرية دون أن يميز محتواه. وهذا نصها:¹¹

أرواحنا لها ثمن	أوطاننا وهي الغوالي
من مات في حب الوطن	وإنما يحي المعالي
بكل سيف منتضي	أوطاننا نحمي حماها
في أرضها تحت سماها	ما مات منا من قضى
ننفي عنا الممات	نحي مجد الآباء
تصفو لنا الحياه	نعلو على هام السهى
عن حبها لا ننثني	أوطاننا وهي الأمانى
بغيرها لا نعتني	طابت لنا منها المعالي
بكل سهل او جبل	تشتاقت أنفسنا هواها
عن سهلها أو عن رباها	لم نرض بالدنيا بدل
فهي مجد الآباء	

⁹ - دفتر أناشيد الإصلاح، مرجع سابق، ص 44، 45

¹⁰ - المصدر نفسه، ص 39

¹¹ - الشيخ بن الشيخ بالحاج محمد بن بابا، مرجع سابق.

- صالح باجو، مرجع سابق.

- صالح حدبون، 22 أبريل 2006. -

- دفتر أناشيد الإصلاح، مرجع سابق، ص 55

6- أناشيد من خارج ميزاب:

من خلال متابعة المسرحيات والأناشيد المنتشرة في وادي ميزاب نجد أن عددا من الأناشيد هي من خارج ميزاب سواء من الجزائر أو من المشرق، ويتعلق الأمر بالأناشيد ذات الشهرة الكبيرة والتي يعتقد أبناء كل بلد أنها من تأليف أحد أبنائه، وفي الحقيقة ربما تكون وافدة من مصر أو فلسطين أو تونس... ويكفي أن نجد أنشودة "عليك مني السلام يا أرض أجدادي" تسجل في دفتر أناشيد الإصلاح بأنها من تأليف الشيخ أبي اليقظان مع أنه أضاف بعض الأبيات في آخرها فقط.¹²

ونجد عدة أناشيد للشاعر محمد العيد آل خليفة مثل: "يا بني شعب

الجزائر" التي مطلعها:

يا بني شعب الجزائر الأباة للمعالي

أنتم نسل الأشاوس الكماة في النزال¹³

وأنشودة "يا رسول الله" التي مطلعها:

يا رسول الله هل يرضيك أنا إخوة في الله للإسلام قمنا

ننفض اليوم غبار النوم عنا لا نهاب الموت بل نتمنى¹⁴

وأنشودة "إلى الأمام" التي مطلعها:

إلى الأمام إلى الأمام يا بني القطر الكرام

واصلوا السعي بجد ونظام ووثام¹⁵

وأنشودة "أيها الأقبام" التي مطلعها:

أيها الأقبام شيدوا الخلق وابنوا ليس غير الخلق للأقبام ركن

أغرسوا الخير من الأعمال تجنوا ثمرات كلها خير ويمن¹⁶

¹² - المصدر نفسه، ص 64

¹³ - المصدر نفسه، ص 25

¹⁴ - المصدر نفسه، ص 37

¹⁵ - المصدر نفسه، ص 31

¹⁶ - المصدر نفسه، ص 33

كما اشتهر نشيد "شعب الجزائر مسلم" للشيخ عبد الحميد بن باديس، لتلتحق به عدة أناشيد وطنية مثل "من جبالنا طلع صوت الأحرار"، ونشيدا "فداء الجزائر روجي ومالي" و "قسما" لابن ميزاب مضدي زكريا.¹⁷

إضافة إلى أناشيد أخرى كتشيد جمعية الشبان المسلمين الذي مطلعته:

ربنا إياك ندعور بنا آتنا النصر الذي وعدتنا

إننا نبغي رضاك إننا ما ارتضينا غير ما ترضى لنا¹⁸

ونشيد "خلقت طليقا" للشاعر التونسي أبي القاسم الشابي الذي مطلعته:

خلقت طليقا كطيف النسيم وحرًا كنور الضحى في سماه

ونشيد "لذة العيش" الذي مطلعته:

لذة العيش حياة الوطن وفداه من صروف الزمن¹⁹

ونشيد "شباب الغد" للشاعر بشارة الخوري والذي مطلعته:

نحن الشباب لنا الغد ومجده المخلد نحن الشباب

شعارنا على الدوام عاش الوطن بعنا له يوم المحن أرواحنا بلا ثمن²⁰

7- مواضيع الأنشودة الميزابية:

تعددت اهتمامات الأنشودة في وادي ميزاب، ومن الملاحظ أننا نجدها تتضاعف عددا وتتوسع موضوعا في تطور سريع، وسنحاول ترتيب مواضيعها حسب عدد الأناشيد الواردة في الدفتر لا حسب أهمية المواضيع أو الأنشودة أي أن عملنا هنا هو ترتيب كمي.

7- 1- الأناشيد الوطنية الحماسية:

وقد برز فيها الشيخ أبو اليقظان و علي معمر وإبراهيم قرادي وأحمد لعساكر، وتتراوح عادة بين أمنيات هؤلاء الكتاب بالتطور والاستقلال للوطن الجزائري أو الشرق العربي أو العالم الإسلامي كله، كما لا ينسى هؤلاء التغني بوطنهم ميزاب ووصف قراه ومناظره. وهي:

- علمي علمي: اسم كاتبها غير واضح، أما مطلعها فهو:

17 - المصدر نفسه، ص ص 10، 13

18 - المصدر نفسه، ص 36

19 - المصدر نفسه، ص 53

20 - المصدر نفسه، ص 19

- علمي علمي يا علم العرب.
- إلى الشعب الجزائري: أبو اليقظان، مطلعها:
أشعب الجزائر نلت البشائر ونلت الفخار ونلت الهناء
وما أهنا العيش بعد العنا وما أروع البعث بعد الفناء
ولازمتها " وما أروع البعث بعد الفناء " التي تتكرر في كل بيتين.²¹
- بني الأمجاد: باش عادل بكير. مطلعها:
بني المجاد أفيقوا للغرب حرب تحت السلام
- أمة الإسلام: محمد بن عمر الداودي، مطلعها:
أمة الإسلام وحد شتت الشعوب وجدد
نهج المبعوث فينا نهج رب العالمين...جدد
- لبوا المصطفى: صالح خباشة. مطلعها:
لبوا المصطفى يا نسل الأباة منبع الصفا تاج المكرمات
- بلادي أنت ذخري: قرادي. مطلعها:
بلادي يا بلادي أنت ذخري وعنادي
بلادي يا بلادي فيك سعيي وجهادي
- بلادي هي مناي: تريح يوسف. يعتبر النشيد الرسمي للطلبة في البعثة
البيوضية بالقرارة، مطلعها:
بلادي هي مناي
بلادي هي هواي
أصد عنها ضرب البلايا بلادي بلادي
- شباب المسلمين: علي معمر. مطلعها:
شباب المسلمين كن هدى للعالمين قد جنود الفاتحين وتقدم لا تهين
- شعب الإسلام بشراك: علي معمر. مطلعها:
شعب الإسلام بشراك قد لاح فجر السلام
على رغم العداة شع نور الوثام
- بلادنا تعيش في الحرية: صالح باجو. مطلعها:
بلادنا تعيش في الحرية ستعتلي البرايا

²¹ - المصدر نفسه، ص 14

- دعا الحق: عبد الله عفيفي. مطلعها:
دعا الحق فامضوا وشقوا الزحام وسيروا إلى المجد سير الكرام
- نحن جنود إفريقيا: علي معمر. مطلعها:
نحن جنود إفريقيا أسود الصحاري والحضر
- ردد لحونك: أحمد لعساكر. مطلعها:
ردد لحونك ردد ردد لحونك يا كئيب
- يا شباب أحمد: تأليف محمد لعساكر، سنة 1947. مطلعها:
شباب أحمد لوذوا بالإله
- اطلبوا النصر المأبد منه لا سواه يا شباب أحمد لا ترض الهوان
- الحق يسورنا: الشيخ أبو اليقظان. مطلعها:
الحق يسورنا والعز على آفاق مغانينا
- أوطاني: علي معمر. مطلعها:
أوطاني بلد الإسلام أوطاني نغم الإسلام ألحاني بلد الإسلام
- الوطن لنا الوطن لنا الوطن لنا
- يا شباب العلا قدموا ثمنا. علي معمر. مطلعها:
يا شباب العلا قدموا ثمنا أنفسكم والبنين.
- شباب الحياة: باجو صالح. مطلعها:
من شباب الحياة نقود للمعالي خير شباب للعز والكمال
- أنت حبي يا بلادي: محمد بن عمر الداودي. مطلعها:
أنت حبي يا بلادي فيك حبي وودادي
- يا أمة الهادي: محمد بن عمر الداودي. مطلعها:
يا أمة الهادي يا نسل الأمجاد كونوا على استعداد قد آن الجهاد
- يا أمة العرب: قرادي. مطلعها:
يا أمة العرب العلية نبع الذكاء والعبقرية
- 7- 2 - المولد النبوي الشريف:

حازت مناسبة ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم أهمية خاصة في احتفالات الإصلاحيين في ميزاب، وهم في ذلك يتشابهون مع باقي إصلاحيي الوطن الذين لم يصنفوا الاحتفال بذكرى المولد النبوي في خانة البدع المنكرة

بل اعتبروها مناسبة هامة لا ينبغي تفويتها وذلك لما توفره من استذكار لأخلاق النبي (ص) ومآثره الجليلة.

ويعكس لنا عدد الأناشيد المولدية وكتابة المؤلف الواحد لعدد من الأناشيد المولدية مكانة هذه المناسبة وحجم الاستعداد لها والمعاني التي ترمز لها. ونذكر منها:

- نور الهدى: رشوم بكير. مطلعها:

نور الهدى من أحمد تجلى يهدي العقول

- بسما الإصلاح: صالح خباشة. مطلعها:

بسما الإصلاح عيد الأفراح بادي اللياح

- شهر يتيه: مرموري. مطلعها:

شهر يتيه بدياليه لما شح الإسعاد فيه بالنبي يا سلام سلم عليه

- بشرى السعود وافانا: محمد رمضان. مطلعها:

بشرى السعود وافانا وتغنى بمولد الهادي سنمرح تيتها

- ربيع قد وافانا: قرادي. مطلعها:

ربيع قد وافانا بأجمل الفنون

- أحيي في النفوس ذكرى: مرموري. مطلعها:

أحيي في النفوس ذكرى من سنا الهادي الأمين

- عهد الرسول: رشوم بكير. مطلعها:

عهد الرسول عهد السرو ظهر النفوس فك العقول رقى الأفكار

- بدر الهدى: تاعموت. مطلعها:

بدر الهدى قد أشرقاً فحقاً

أيام السعد والهنا ما أحلى من عيد النبي المصطفى

- حيوا ربيب العلا: عبد الله عفيضي. مطلعها:

حيوا ربيب العلا والكوكب المجتلا

- محمد عليه الصلاة والسلام: عبد الله عفيضي. مطلعها:

محا نورك الظلم والظالمين وألقى الأمان على العالمين

7- 3- أناشيد التعلم والنهوض:

عرفت الحركة الإصلاحية دعوات كثيرة نثرا و نظما من طرف زعمائها وأنصارها لحث العامة على التعلم والنهوض، وإذا كان هذا المجال ليس

هو مجال تفصيل ذلك إلا أننا نذكر بالصحافة الليقظانية التي عالجت على اختلاف جرائدها هذا الموضوع وما يتصل به معالجة موسعة ومعقدة إضافة إلى كتاب الشيخ عبد الرحمن بكلي (1901- 1986) (الملقب بالبكري) : "مسيرة الإصلاح" والذي شرح فيه العوامل والدوافع والظروف التي عايشها والتي أثرت سلبا وإيجابا في سير الحركة الإصلاحية في ميزاب في مختلف مجالاتها ومنها مجال التعليم²². ولاشك أنه إذا ما ذكر التعليم في ميزاب إلا وينصرف الذهن إلى البعثات العلمية الميزابية نحو تونس ثم يتجه الذهن إلى مدرسة الحياة في القرارة التي مثلت أهم إنجاز علمي وتربوي للإصلاح الميزابي²³.

وهذا هو المبرر الذي يجعل عددا من الأناشيد في ميزاب تتناول هذا الموضوع وتحفظ بالروح السائدة في تلك العقود من خلال تعابير معينة موحية ومواقف ثابتة يعتقد أصحابها بثباتها وصحتها طبعاً، من أهم هذه الأناشيد نذكر:

- سحقا للجهل: باجو صالح . مطلعها:
- لك سحقا أيها الجهل على ما في صفوف الشعب أحدثت انقساماً
- حيي الشبيبة: محمد بريوشة. مطلعها:
- حيي الشبيبة هني الجيل واهتف للعلم بكل سبيل
- يا معهدي عهدتك: باجو صالح . مطلعها:
- يا معهدي عهدتك ونفسي عهد الرجوع
- بعثة تونس: صالح خباشة. مطلعها:
- يا بعثة انشدي وغني العلماً أنشودة النضال واحرصي الحمى
- شباب بعثة ميزاب: كاسي صالح . مطلعها:
- يا شباب بعثة ميزاب أشرقوا على ميزاب شمس علم وأدب
- البعثة: حني بكير. مطلعها:
- أيأ بعثتي ويا رمز العلا جنودك للشعب نبغ الهنا
- يا بعثة الخضراء: ابسيس عمر. مطلعها:
- يا بعثة الخضراء ويا جند المستقبل
- من كوثر العرفان بالزيتونة انهل

²² - عبد الرحمن بن بكلي، مسيرة الإصلاح، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004

²³ - قوبع، مرجع سابق، ص ص 234، 242

7- 4- الكشافة:

كانت الفرق الكشفية في ميزاب أميل إلى المحلية رغم أن ظهورها كان بتأثير من الكشافتين التونسية والفرنسية حيث تأثر الميزابيون بالكشافة التونسية لما احتكوا بها في دار البعثة بتونس، أما الكشافة الفرنسية فشاهدوا نشاطها واستعراضاتها في الجزائر. وقد نجح الشيخ عدون شريفي في تأسيس "جمعية كشافة الجنوب" عام 1936، ثم ازداد الوعي بأهميتها من خلال الدعوات الكثيرة التي كتبت في مجلة الشباب المخطوطة في معهد الحياة أو المسجلة في محاضر جمعية الشباب، وهو ما ساهم في نواة لها من خلال نشاطها في تمثيل الروايات التاريخية والمسرحيات الاجتماعية وكتابة وتلحين الأناشيد.²⁴

وفي 24 أكتوبر 1949 ظهر أول تنظيم كشفي بصفة رسمية في ميزاب وظهرت له فروع ثلاث، انخرط فيه في البداية ستون شابا ثم توسعت الفروع والعدد مع الخمسينات وشمل نشاطها المشاركة في الأعياد والمسرح والاحتفالات والاستعراضات والمخيمات.²⁵ ولعل ما يصور لنا دور الكشافة في كتابة و أداء الأناشيد ومدى تبعيتها الفكرية والتنظيمية للحركة الإصلاحية في ميزاب ما كتبه أحد طلبة معهد الحياة واصفا استقبال كشافة القرارة للشيخ بيوض في عودته من سفره فكتب: "...يحق للشباب البيوضي أن يقيم ذلك المهرجان العظيم في استقبال زعيمهم الجليل، ويحق ذلك لهم ويان ينظموا تلك الفرق الكشافة لتحيي قائدها الذي ربّاهم وهذبها...ويحق لهم أن ينشدوا له تلك الأناشيد الرنانة..."²⁶.

أما بالنسبة للأناشيد المتعلقة بالكشافة من حيث أفكارها وشعارها، فهي:

- كشافة الحياة: صالح باجو، مطلعها:
كشافة الحياة قوموا يا أيها الأشبال
- ثابر: مرموري. مطلعها:
ثابر في مناهج الكمال صابر فالعلا صعب المنال
- إلى الوغى: علي معمر. مطلعها:
إلى الوغى تقدموا يا أيها الأشبال

²⁴ - جمعية الشباب الصغرى، 27 ديسمبر 1945

²⁵ - شهادة الشيخ بن الشيخ بالحاج، مرجع سابق

²⁶ - عاشور، جمعية الشباب الصغرى، 8 جويلية 1948

7- 5- أناشيد الأعراس:

اشتهرت فرق الأعراس في ميزاب بعراقتها وارتباطها بالتنظيمات الاجتماعية والدينية المعروفة، كهيئة "تمسردين" (الغاسلات) التي تشرف عليها نساء متفقيات في الدين، وتتكفل بمهام عديدة كتغسيل وتكفين الموتى من النساء وتنظيم الأعراس وكل هذا بهدف محاربة البدع والمنكرات في هذه المناسبات.²⁷ وقد استفادت الحركة الإصلاحية من هذا النظام فزاد عدد الفرق الإنشادية لدى الجنسين بفضل انضمام الطلبة الإصلاحيين واغتنى محتوى الأنشودة الإيديولوجي. ومن أشهرها:

- دقت طبول: تريح يوسف. مطلعها:

دقت طبول البشر فاهتف بالأغاني وانشر باقات الزهر في يوم القران

- عشت يا عروس: تريح يوسف: مطلعها:

اشرب على نخب العروس عشت يا عروس عشت يا عروس

- الليلة: بربوشة. مطلعها:

الليلة الليلة الليلة سهرتنا حلوة الليلة الليلة الليلة

ما ترى وجه الربيع للقران باسم وشذى الأزهار فيه للسرور ناسم

- كل شيء يحلو: علي معمر. ألف احتفالاً بقران الشيخ بيوض عام 1940،

مطلعها:

كل شيء يحلو في جناب الحور يحلو ليس يوماً يخلو

من شذى الزهور

7- 6- أناشيد في وصف الطبيعة:

يبدو أنها مرتبطة بالمخيمات الكشفية والرحلات التي كانت تنظمها الفرق

الكشفية والمدارس، والهدف منها تقوية القريحة اللغوية و دفع الملل عن التلاميذ.

نذكر منها:

- ابتسم يا روض: بربوشة. مطلعها:

ابتسم يا روض في دلال وانتشي يا عيد بالجمال

- بين النخيل: بربوشة، مطلعها:

بين النخيل فوق الخميل والورد ايميل مع النسيم العليل

²⁷ - وادي ميزاب، 6 جويلية 1928

- انثر زهرک: علي معمر، مطلعها:
انثر زهرک في المغاني وانظم شعرك والأغاني
عيشك الدهر أخضر
- عليك بلادي يا أرض النخيل: صالح الخريفي، مطلعها:
عليك بلادي يا أرض النخيل أردد اللحن الحنين حيث (٩) وادي النيل
7-7 - وفد الحج:
- الله معانا: بربوشة. مطلعها:
الله معانا معانا يا هنانا يا هنانا وفد الحجيج جانا
بالرحمة آتانا
- بالبشرى نادي: رشوم بكير. مطلعها:
بالبشرى نادي وامرح جدلانا ركب حجيج الوادي باليمن وافانا
- جادك الكوثر: عبد الله عفيفي. مطلعها:
جادك الكوثر إن ضنّ السحاب يا ربي الأحباب بالوادي الأمين
7-8 - شهر رمضان:
- كانت مناسبة رمضان فرصة كبيرة للإشاد حتى تتم توعية
الحاضرين وتذكيرهم برسالة الإصلاح بطريقة خفيفة مروحة وعادة ما تكون في
شكل مسامرات وتنافس. من أشهر الأناشيد التي كانت تشيد بهذا الشهر هي:
- هلّ هلال: تريح يوسف. مطلعها:
هلّ هلال شهر المبرّة هلال صوم بدا أغراً
- 7-9 - عيد الفطر وعيد الأضحى:
- العيد حلّ بالسعود. بربوشة. مطلعها:
العيد حلّ بالسعود يا جنود المصلحين يا شباب المسلمين
- 7-10 - في مدح الشيخ بيوض وزعماء الإصلاح:
- لك في العز: علي معمر. مطلعها:
لك في العز والمجد صورة البطل لك في الدين والشعب سيرة المثل
- يا ضيفنا: تريح يوسف. مطلعها:
يا يا ضيفنا أهلا وسهلا وهناء قد وافيتنا بالسعد تحظى والثناء
- اهناً يا قادم: تريح يوسف. مطلعها:

- اهناً يا قادم بين الربوع أهلاً وسهلاً فداك الجموع
- نمد الصوت يعلو: أحمد بن الحاج يحيى. وهي في مدح أستاذه الشيخ بيوض، مطلعها:
- نمد الصوت يعلو فوق أجواز الفضاء إذ بلغنا كل سؤل ومرام وهناء
- وفي سعيد: علي معمر. في مدح الشيخ عدون (شريفى). مطلعها:
- وفي سعيد عمدة الوطن فاليوم عيد بكل مكان
- وقع أغاني البشر: تريح يوسف. كتبت في الترحيب بشاعر الشباب (علي يحيى معمر). ثم صارت تنشد في استقبال الضيوف، مطلعها:
- وقع أغاني البشر والتهاني على العيدان
- الجريدة: صالح الخريف. كتبها في الدعوة لإنشاء الصحف وفي مدح عميد الصحافة الجزائرية الشيخ أبي اليقظان وصحفه، نوردها كلها لأهميتها التاريخية:

متى يا نشء الواد نرى الجريدة	الجريدة
نبني بها حياتنا الجديدة	الجديدة
آه آه آه آه....	يا ابن الثقافة أين الصحافة
متى نرى يا شعب الوادي	صحيفة فيك تنادي
أحيوا لنا عصر الجريدة	نحيي بها الشيم الموءودة
وعزة العرب المفقودة	عشت يا عصر الجريدة
عشت يا أبا اليقظان	بين "نور" و "فرقان"
تحت أفياء "البستان"	تستمد وحي الجريدة
يا أبا الصحف المجيدة	ألا تعيد لنا العهودا
عصر الحضارة والمدنية	وسطوة الغرب العتية
ما لنا للغرب ند	غير أقلام تسعد
ونزال يستمد	من صحائف الجريدة ²⁸

7- 11- قضية فلسطين:

حفلت الصحافة اليقظانية ومجلة الشباب بعدد من المواضيع والقصائد حول قضية فلسطين²⁹، أما بالنسبة للأناشيد فوردت قضية فلسطين في أنشودة "

²⁸ - دفتر أناشيد الإصلاح، ص 8

بني يعرب" التي كتبها محمد بن عمر الداودي، والتي نقتطف منها الأبيات التالية:

بني يعرب	يا أسود البرية	إلى العلا ...
قوموا جميعا للحياة الهنية	وأهلكوا	
أعداءكم طرا بالموت الوحية	وأهتكوا	
الصهيونية العتية	في حيه	
ظهروا أراضينا القدسية	من اليهود	
واقلعوا آثارهم الدنية	من الوجود ³⁰	

8- خاتمة:

وهكذا نخلص من خلال استعراض الأنشودة الإصلاحية في وادي ميزاب إلى أنها ارتبطت بالحركة الإصلاحية باعتبارها وسيلة أساسية من الوسائل التي اعتمدت عليها، شأنها في ذلك شأن الأنشودة في علاقتها بالحركة الإصلاحية الوطنية في باقي جهات الوطن، مع ملاحظة كثرتها عددا وإلقاء ونشاطا بفعل النظام الاجتماعي الميزابي القائم على قوة الهيئات الاجتماعية والدينية والثقافية التي ساهمت في انتشار هذه الأناشيد وتطويرها باستمرار، كما يلاحظ شمولها لمختلف نشاطات الحياة فنجد الأنشودة التي تتغنى بالوطن والتي تتغنى بالدين الإسلامي أو بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في عيد مولده، أو التي تتغنى بمعهد الحياة وتدعو للعلم والنهوض، وكذلك التي تتعلق بالمواسم الاجتماعية والدينية كالأعراس ووفد الحج وشهر رمضان، أو التي تتغنى بمظاهر الطبيعة في ميزاب، كما نجد فيها التي تتغنى بشيوخ الإصلاح وزعمائه: الشيخ إبراهيم بيوض والشيخ أبي اليقظان والشيخ عدون... ومن جهة أخرى فإن التوسع أكثر في معرفة مناسبة كتابة كثير من هذه الأناشيد يتيح لنا التعرف على بعض الأحداث والمراحل التي عرفتها الحياة الثقافية والعلمية وحتى السياسية في وادي ميزاب.

²⁹ - الأمة، ع 47، 22 أكتوبر 1935.

- الشباب، ع 92، 27 ديسمبر 1929.

- الشباب، عدد 17 جوان 1948

³⁰ - دفتر أناشيد الإصلاح، ص 51

9- قائمة المراجع :

- الأمة (22 أكتوبر 1935)، من الفرقة والخصام إلى الألفة والوثام، ع 47
- أوجانة محمد ملالي، (22 أبريل 2006)، شهادة شفوية للباحث عبد القادر قوبع، معهد الحياة ، القرارة، غرداية، الجزائر
- باجو صالح (22 أبريل 2006)، شهادة شفوية للباحث عبد القادر قوبع، منزل صالح باجو، القرارة، غرداية، الجزائر
- بكلي عبد الرحمن (2004)، مسيرة الإصلاح، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر
- بن الشيخ بالحاج محمد (17 افريل 2006)، شهادة شفوية للباحث قوبع عبد القادر ، منزل الشيخ بن الشيخ بالحاج ، القرارة، غرداية، الجزائر
- جمعية الشباب الصغرى (27 ديسمبر 1945)، محضر جلسة رقم 631، مكتبة مدرسة الحياة، القرارة، غرداية، الجزائر
- حدبون صالح (22 أبريل 2006)، شهادة شفوية للباحث عبد القادر قوبع، منزل الشيخ صالح باجو، القرارة، غرداية، الجزائر
- الخريف صالح (1991)، من أعماق الصحراء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان
- دبوذ محمد علي (1976)، أعلام الإصلاح، ج 3. دار البعث، قسنطينة، الجزائر
- دفتر أناشيد الإصلاح، مرقون، معهد الحياة، القرارة، غرداية، الجزائر
- رمضان محمد الصالح (2003)، إسهاماتي في الكشافة الإسلامية، المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية، الجزائر
- السنوسي محمد الهادي، (1926)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس
- الشباب (27 ديسمبر 1929)، حوادث فلسطين وموقف الجزائر منها، الشباب، مدرسة الحياة، القرارة، ع 92
- الشباب (17 جوان 1948)، قصيدة في فلسطين المجاهدة، الشباب، مدرسة الحياة، القرارة
- عاشور (8 جويلية 1948)، يحق للشباب البيوضي أن...، الشباب، مدرسة الحياة، القرارة
- قوبع عبد القادر، (2013)، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920 و1954، دار طليطلة، الجزائر
- وادي ميزاب (6 جويلية 1928)، أقسام السلطة بوادي ميزاب، وادي ميزاب، ع 90
- ونيسي زهور، (أفريل 2004)، شهادة تلميذة من مدرسة حرة، الشهاب الجديد، مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، قسنطينة، الجزائر، ع 3